فالآن نبدأ بنظمه ـ رحمه الله ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الناظم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد القوي المرداوي رحمه الله تعالى:

بحمدك اللهم أنهي وأبتدي   فحمدك فرض لازم كل مُوجَد[1]

---

(١) ابتداء المصنفات والنثر والنظم بالحمد لله، سنة نبوية، فكان ﷺ يبتدئ خطبه بالحمد لله والثناء على الله، والمصحف الشريف مبدوء بالحمد لله رب العالمين، فتبدأ المصنفات ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم بالحمد لله رب العالمين، هذا هو السنة.

ولذلك بدأ الناظم نظمه بالحمد لله، قال: «بحمدك اللهم أُنهي وأبتدي» يبتدي بالحمد لله وينتهي بالحمد لله.

والحمد: هو الثناء على الله جل وعلا بما هو أهله، والله جل وعلا يُحمد لذاته ولأسمائه وصفاته ولأفعاله، فهو المحمود على كل حال وجميع المحامد له سبحانه وتعالى، وقد ابتدأ الخلق بالحمد لله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]،

تعاليت عن ند وعن ولد وعن شريك وعن ما يفتري كل ملحد[1]

وتنتهي الدنيا بالحمد لله ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر:٧٥]، والله جل وعلا له الحمد في الأولى والآخرة، تحمده كل المخلوقات وتثني عليه بما هو أهله؛ لأنه المنعم بجميع النعم، فله الحمد كله.

«فحمدك فرض» فحمد الله جل وعلا فرض أي واجب على «كل مُوجد» يعني كل مخلوق؛ لأن كل مخلوق فهو موجد من عدم، وكل مخلوق يجب عليه أن يحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه وعلى قضائه وقدره.

(١) هذا تنزيه لله جل وعلا «تعاليت» أي أنك منزه عن كل شريك، فالله جل وعلا لا شريك له و«عن ند» والند: هو المثيل والشبيه، والله جل وعلا لا شبيه له، «وعن ولد» فإنه تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٣-٤] فهو منزه عن كل العيوب والنقائص وله الكمال المطلق سبحانه وتعالى.

نقـر بلا شـك بأنـك واحـد ونؤمن بالداعي إليك محمد[1]

رسولك أزكى من بعثت إلى الورى وخير من استخرجت من خير محتد[2]

«وعن ما يفتري كل ملحد» ما يفتري: ما يكذب، فالذين يكذبون على الله جل وعلا ويقولون على الله بغير علم، الله منزه عن قولهم: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣]، نزه نفسه عن قول الملحدين، والملحد: هو المائل عن الحق.

(١) هذا معنى الشهادتين «نقر بلا شك بأنك واحد» هذا فيه إفراد الله ـ جل وعلا ـ بالوحدانية، فهو جل وعلا واحد في ربوبيته وواحد في ألوهيته وواحد في أسمائه وصفاته، لا شريك له في ذلك، وكذلك نقر بنبوة محمد ﷺ الداعي إلى الله جل وعلا.

(٢) «رسولك» الرسول: هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والرسول بمعنى المُرسل، فهو رسول من عند الله ـ عز وجل ـ فالله يرسل الرسل إلى عباده لدعوتهم إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى أنه يرسل الرسل إلى

العباد ليدلوهم على طريق الصواب وينهوهم عن طريق الضلال، ولا يتركهم سبحانه وتعالى يضلون ويكفرون دون أن يرسل إليهم من يبين لهم طريق الحق والصواب وينهاهم عن طريق الضلال. قد أرسل الله الرسل وما زالت الرسل تتابع من نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ ﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء:١٦٣]، فأولهم نوح عليه الصلاة والسلام هو أول الرسل وآخرهم محمد ﷺ.

كلهم جاءوا لهداية الخلق وبيان الحق، وقد بلغوا البلاغ المبين، وهذا الرسول محمد ﷺ هو أشرفهم، وأشرف الخلق وهو سيد الخلق، سيد ولد آدم ـ كما جاء في الحديث ـ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(١) ويظهر هذا يوم القيامة إذا حُشر الناس وطال عليهم الوقوف وتقدموا يطلبون الشفاعة من الرسل ليريحهم الله من الموقف ويحاسبهم حتى يستريحوا من طول الموقف، وكلهم يدفع الشفاعة وتنتهي إلى محمد ﷺ فيتقدم لها عليه الصلاة والسلام

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل النبي، حديث رقم (٣٦١٥)، وبمثله رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، حديث رقم (٢٢٧٨).

ويشفع إلى الله في أن يفصل بين عباده، فيقبل الله شفاعته. وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٩]، لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون وبهذا يظهر شرفه ﷺ ومكانته عند الله ـ عز وجل ـ ويظهر تقدمه على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

واختاره الله جل وعلا من نسب عريق «من خير محتد» يعني من خير نسب، اختاره من بني هاشم، واختار بني هاشم من قريش، واختار قريشاً من بني كنانة، واختار بني كنانة من العرب، فهو خيار من خيار عليه الصلاة والسلام.

«ونؤمن بالداعي إليك محمد» لابد من هذا، لابد من الإيمان بالله وبرسوله، لا يكفي الإيمان بالله بل لابد من الإيمان بالرسول ﷺ؛ لأن الرسول هو المبلغ عن الله ـ عز وجل ـ ولا نصل إلى الله وإلى جنته إلا من طريق الرسول ﷺ ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ [آل عمران:٣١]، فالذي يزعم أنه يصل إلى الله من غير طريق الرسول ﷺ ضال وملحد وكافر بالله ـ عز وجل ـ.

«أزكى» يعني أطهر، فالزكاة معناها الطهارة، فهو ﷺ أطهر

عليه صـلاة الله ثـــم سلامــه صلاة لنا تقضـي بفـوز مؤيـد[1]

الخلق نفساً، وأطهرهم عملاً، وأطهـرهم نسـباً، وأطهـرهـم بجميـع أنواع الطهارة البشرية.

(١) هذا من حقوقه ﷺ علينا أننا نصـلي عليـه، وقـد أمرنـا الله بذلك قـال سـبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، هـذا حـق واجب علينا له أن نصلي على الرسول ﷺ، فنقـول: اللـهم صـلِّ وسلم على نبينا محمد. والصلاة من الله جل وعلا ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، والصلاة مـن الملائكـة الاسـتغفار، والصـلاة مـن الآدميين الدعاء.

«صلاة لنا تقضي بفـوز مؤيـد» لأن الصـلاة والسـلام علـى الرسول فيهما أجر عظيم، قال ﷺ: «من صلى عليّ واحدة صـلى الله عليه بهـا عشراً»[1] يضاعف الله ثواب الصـلاة على النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ... حـديث رقـم (٣٨٤) والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي، حديث رقم (٤٨٥).

وكـل نبي للأنـام وضُوعِفَـت   لأشرف مخلوق بأشـرف محتـد[1]

وأصحابه والغر من آل هاشـم   ومن بهداهم في الأعاصير يهتدي[2]

بعشر صلوات من عند الله عز وجل.

«صلاة لنا» صلاة وسلاماً؛ لأن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ فتجمع بين الأمرين: ﷺ. «تقضي بفوز مؤبد» الصلاة على الرسول فيها ثواب عظيم لمن صلى عليه.

(١) لما صلى على النبي ﷺ صلى على جميع النبيين عليهم الصلاة والسلام، وهذا حق لهم علينا أننا نصلي عليهم عند ذكرهم. وضوعفت الصلاة على الرسول ﷺ أكثر من غيره؛ لأنه أفضل من غيره.

(٢) ثم بعدما صلى على النبي ﷺ صلى على أصحابه، والأصحاب: جمع صاحب أو صحابي، والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، هذا هو الصحابي بهذه الشروط:

أن يلقى النبي ﷺ حتى لو لم يره؛ بأن كان أعمى، إذا لقي النبي ﷺ ـ ولو لم يره بعينه ـ مؤمناً به، فلو لقيه وهو غير مؤمن به ثم أسلم بعد موت النبي ﷺ لا يُعد صحابياً. لابد أن يموت على ذلك، يعني ولم يرتد، فإذا ارتد ومات من غير توبة بطلت صحبته وبطلت سائر أعماله.

«والغر» المراد بهم أقارب الرسول ﷺ، لما صلى على الصحابة عموماً صلى على قرابة النبي ﷺ خصوصاً، وهم آله وأهل بيته.

«من آل هاشم» هذا تفسير لآل محمد؛ وهم آل هاشم بن عبد مناف. وبعضهم يُلحق بهم آل المطلب بن عبد مناف، لأن آل المطلب لازموا الرسول ﷺ وصاروا معه وانحازوا معه وصبروا على الأذى معه الحاصل من قريش، فصار لهم من الحق مثل ما لآل هاشم؛ لأن عبد مناف له أربعة أولاد: هاشم الذي هو جد الرسول ﷺ، والمطلب الذي هو جد آل المطلب، وعبد شمس الذي هو جد بني أمية الذين منهم عثمان بن عفان، ونوفل جد بني نوفل الذين منهم جبير بن مطعم.

وأشـــهد أن الله لا رب غــيره وأسأله عفواً وإتمام ما ابتدي (١)

«ومن بهداهم في الأعاصير يهتدي» لما صلى على الـنبي ﷺ وصلى على أصحابه وعلى قرابته صلى على كل من اتبعه إلى يوم القيامة.

(١) ثم لما حمد الله وأثنى عليه وصلى علـى الـنبي ﷺ أتـى بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناهـا: لا معبـود بحـق إلا الله، فتُقر وتعترف بلسانك وتعتقد بقلبك أنه لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود سواه فهو باطل، ثم تعبده حق عبادته.

«لا رب غيره» يعني لا إلـه غـيره، والـرب يُطلـق ويـراد بـه الإله، كما أن الإله يُطلق ويراد به الرب، فيستعمل أحدهما مكـان الآخر، وإذا ذُكرا جميعاً صار الرب معناه المالـك المتصـرف المـدبر، والإله معناه المعبود، أما إذا ذُكر أحدهما فإنـه يـدخل فيـه الآخـر. «وأسأله عفواً وإتمام ما ابتدي» لما شهد أن لا إله إلا الله طلب منـه أن يعينه على إتمام ما ابتدأ به من هذا النظم حتى يكمله على

وخاتمة حسنى تنيل الفتى الرضا وتبلغه في الفوز أشرف مقعد[(1)]

الوجه الذي أراده؛ لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله. فالإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بإعانة الله جل وعلا «وأسأله عفواً» يسأله عفواً عن التقصير وهذا من باب أن الإنسان لا يزكي نفسه لأنه مُقَصر، مهما فعل ومهما عمل فهو مُقَصر يحتاج إلى العفو من الله عز وجل.

(١) لما دعا بهذا الدعاء سأل الله حسن الخاتمة، وهذا أمر مهم جداً أن الإنسان يسأل الله حسن الخاتمة بأن يموت على الإسلام، فالأعمال بالخواتيم، قد يكون الإنسان محسناً وعاملاً للصالحات ثم يُختم له بسوء فيموت على الكفر، فلا تنفعه أعماله، وقد يكون الإنسان مسيئاً ومُفرِّطاً ثم يُختم له بخير فيسعد ويُعفى عن ما حصل منه، فالمدار على الخاتمة، فالإنسان يخاف من سوء الخاتمة ويسأل الله أن يُحسن له الخاتمة وأن يميته على الإسلام ولا يغتر بنفسه وصلاحه وعمله وعلمه؛ لأنه قد ينحرف بسبب

ونحمـده حمـداً يليــق بطولــه ونسأله الإخلاص في كل مقصـد(١)

الفتن، وما أكثر من انحرفوا ـ والعياذ بـالله ـ ومـا أكثـر مـن زاغـوا وضلوا بسبب الفتن، فالإنسان على خطر ما دام على قيد الحيـاة، لا يزكي نفسه ولا يأمن من مكر الله ـ عز وجل ـ في أنه يفتنـه ويصـيبه فلا يثبت على الحق. ما أكثر من ارتدوا، وما أكثر من فسـدوا بعـد الصلاح، وما أكثـر مـن زاغـوا بعـد الهدايـة، فالإنسـان يسـأل الله الهداية وحسن الخاتمة، فأنبياء الله يخافون من سوء الخاتمة.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٥]، ويوسف عليـه السـلام يقـول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسـف:١٠١]، الأنبيـاء يسـألون الله حسن الخاتمة فكيف بغيرهم؟

«وتبلغه في الفوز أشرف مقعد» قال الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمـر: ٥٤-٥٥]، فيسأل الله مقعد الصدق، ومقعد يوم القيامة هو الجنة.

(١) يحمد الله حمداً، أي: يثني عليـه ثناءً «يليق بطولـه» يعني

وبعد فإني سوف أنظم جملـــة　　　من الأدب المأثور عن خير مرشد[1]

بعطائه ومَنِّه وكرمه. «ونسأله الإخلاص في كل مقصد» وهذا مهم جداً أن الإنسان يسأل الله الإخلاص في عمله وألا يقصد بعمله غير وجه الله عز وجل فيبطل عمله، الإخلاص أمره مهم جداً ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

فالإنسان يسأل الله أن يوفقه للإخلاص وأن يجعل عمله خالصاً لوجهه ويخاف من الرياء ويخاف من حب الدنيا وأن يعمل من أجل الدنيا أو من أجل الرياء أو من أجل المدح والثناء، هذه الأمور تُبطل العمل، فالإنسان يخاف من هذا. كذلك الإخلاص في طلب العلم وفي تعلم العلم بأن يتعلم العلم لوجه الله، لا يتعلمه رياء ولا سمعة ولا من أجل طمع الدنيا ولا من أجل المدح والثناء أو من أجل المراتب والوظائف، كل هذا يتنافى مع الإخلاص.

(١) «وبعد» يعني بعد ما قدم هذه المقدمة الجليلة أتى ببعد، وبعد: أصلها أما بعد، وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب

من السنة الغراء أو من كتاب من تقدس عن قول الغواة وجُحَّـد[1]

إلى أسلوب، لما أكمل المقدمة انتقل إلى الموضوع الذي يريده وهو نظم الآداب.

«أنظم جملة» النظم غير النثر، النظم: ما كان على روي وقافية، فهو الكلام الموزون المقفى، وأما النثر فهو الكلام المرسل، فمعنى أنظم: يعني أجعل نظماً ومنظومة على روي وقافية؛ لأن النظم أخف على السمع وأثبت في الحفظ وأسهل على الإنسان، وأيضاً يتلذذ به الإنسان أكثر من النثر، ولذلك اهتم العلماء بنظم المتون لأجل التسهيل على طلبة العلم ليحفظوها وتبقى في ذاكرتهم، فالنظم له ميزة على غيره.

«من الأدب» والأدب: هو كما سلف، استعمال ما يحسن من الأقوال والأفعال، هذا هو الأدب، والأدب في الأصل الظرافة في القول.

(١) وهذا النظم يؤخذ من الكتاب والسنة، والسنة ما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث، أو من كلام الله ـ عز وجل ـ وهو

ومن قول أهل الفضل من علمائنا ... أئمة أهل السلم من كل أمجد[(١)]
لعل إله العرش ينفعنا بها ... ويُنزلنا في الحشر في خير مقعد[(٢)]

القرآن الكريم، فهذه المنظومة مأخوذة من الوحيين، من الكتاب والسنة، وليست مأخوذة من كلام الناس أو من عادات الناس أو تقاليد الناس، وإنما هي مأخوذة من النبع الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فهذا يدل على أهميتها وأنها ليس فيها حشو من الكلام وإنما هي مضمون آيات أو مضمون أحاديث من أحاديث الرسول ﷺ، أو من كلام أهل العلم.

(١) من كلام علمائنا: يعني الحنابلة؛ لأنها منظومة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله، فقوله: «من علمائنا» يعني علماء الحنابلة. «أهل السلم» يعني أهل الإسلام.

(٢) «لعل إله العرش» وهو الله سبحانه وتعالى، والعرش في اللغة هو سرير الملك، وأما العرش المقصود هنا فهو عرش الرحمن سبحانه وتعالى، وهو مخلوق عظيم، هو أعظم المخلوقات، وهو فوق السماوات، وهو سقف الجنة وأعلى الجنة، وهو أعلى المخلوقات

ألا من له في العلـم والدين رغبــة   ليُصغ بقلـب حاضـر مترصـد[1]

وأعظمها، ولهذا أضافه الله لنفسه، قال: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل:٢٦]، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وصفه بالكرم وبالمجد وبالعظمة، مما يدل على شرف هذا العرش؛ لأنه موضع استواء الرب سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، يعني علا وارتفع سبحانه وتعالى على العرش، فله خاصية على غيره من المخلوقات.

«ينفعنا بها» ينفعنا بهذه الآداب؛ لأن هذا هو المقصود، ليس المقصود أنك تحفظ هذه المنظومة وتقرؤها وتتقنها؛ القصد العمل بها والانتفاع بها، وإلا كم حامل علم لا ينفعه علمه ولا يستفيد منه.

«وينزلنا في الحشر في خير مقعد» هذه هي العاقبة؛ أن من تعلم العلم النافع وعمل به يكون في يوم الحشر في خير مقعد وهو الجنة، وهذه هي الثمرة والنتيجة.

(١) «ألا» حرف تنبيه «من له في العلم رغبة» هذا تنبيه لما

ويقبل نصحاً من شفيق على الورى　　حريص على زجر الأنام عن الرّدِ[1]

سيذكره في هذه المنظومة من أحكام وآداب شرعية لكن إنما يحصل الانتفاع لمن أصغى إليها وأقبل عليها وحفظها وعمل بها، هذا هو الذي ينتفع بها، أما الذي تمر عليه وهو لم يصغ إليها ولم يعبأ بها فإنها لا تنفعه شيئاً حتى ولو كانت عنده في مكتبته، وجودها كعدمها، أما الذي يصغي ويطلب العلم ويطالع ويتزود بالعلم، هذا هو المطلوب ـ والله المستعان ـ.

«ليصغ بقلب حاضر مترصد» ويصغي أيضاً بقلبه لا بأذن بدون حضور قلب، بعض الناس يسمع لكن قلبه ما هو بحاضر، هذا لا يستفيد، لابد من الأمرين: الاستماع وحضور القلب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧]، شهيد: يعني حاضر القلب، ما ألقى السمع فقط بل يكون شهيداً، يعني حاضر القلب.

(١) هذا وصف للناظم ـ رحمه الله ـ بأنه قصد من هذا النظم

النصيحة للخلق ونفع الخلق، وهكذا العالم والمسلم يقصد النصيحة لإخوانه، قال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]، والنصيحة: معناها الإخلاص في القصد لأخيك بأن تريد نفعه وتريد إرشاده هذا هو النصيحة، وضدها الغش.

فالناظم شفيق، وحريص، وناصح، ثلاث صفات، وإذا اتصف العالم بهذه الصفات نفع الله به، إذا كان ناصحاً، وكان عنده شفقة، وكان عنده حرص على هداية الناس وعلى نفع الناس، فإن الله ينفع به وبعلمه وبعمله وبمؤلفاته، كم من مؤلفات لم تنفع لأن أصحابها لم يخلصوا لله ـ عز وجل ـ وإنما أرادوا البروز، هذه أوراق مجموعة لا تنفع، وتجد مؤلفات المخلصين لها تأثير ولها قبول وعليها إقبال، فالنيات لها أثر في المؤلفات.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٥٥). والبخاري معلقا في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة.

فعندي مما في الحديث أمانة   سأبذلها جهدي فأهدي وأهتدي[1]

---

(١) نعم هو كذلك ـ رحمه الله ـ كان محدثاً، وكان عنده محصول عظيم من الأحاديث يحفظها، فهو يريد أن ينفع نفسه وينفع غيره بها، وهكذا يجب على العالم أنه لا يجمع العلم في صدره ولا ينفع إخوانه ولا يدعو إلى الله ولا يرشدهم، بل العالم يبذل علمه للمسلمين، يعلمهم ويدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ وينشر الخير فيهم، هذا هو العالم الرباني وهو العالم العامل.

«سأبذلها جهدي فأهدي وأهتدي» أهدي غيري وأهتدي أنا، لا يليق بالإنسان أن يدعو الناس ويضيع نفسه لابد أن يبدأ بنفسه أولاً ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:٢،٣]، ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ [البقرة:٤٤].

يا أيها الرجل المُعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فخذهـا هـداك الله لا تُهملنها ففيها من الخيرات كل مُنضـد[1]
أقـول ابتـداء في القـريض ونظمـه فكن سامعاً نظمي بغير تفند[2]

---

(١) خـذ هـذه المنظومـة فاحفظهـا وافهمهـا، لا تُهْملنَّهـا، وتعتبرهـا مثـل غيرهـا مـن المكتوبـات أو مـن المنظومـات؛ لأنهـا تتضمن خلاصة الآداب الشرعية التي جاءت في كتـاب الله وسـنة رسوله ﷺ.

«ففيها من الخيرات» من كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ وكـلام أهل العلم، «كل مُنَضَّد» يعني كل منظـوم ومجمـوع ومنسـق علـى خير نظام.

(٢) «القريض» هو الشعر.

«فكن سامعاً نظمي بغير تفند» كـن سـامعاً لهـذا الـنظم بـأن تحفظه وتفهم معانيه وتعمل به من غـير تفنـد، مـن غـير أن يصـير همك الانتقاد والاشتغال بنقد الكلام أو نقـد صـاحبه، فـإن هـذا يصرفك عن الفائدة؛ لأن بعض الناس ليسَ له همٌّ إلا انتقاد العلماء

أو أهل الخير، وهو لا يفعل الخير، إنما همه أن يتلمس العيوب على أهل العلم، وهذه خصلة ذميمة، وصاحبها يُحرم من العلم، وهذه أعظم مصيبة أن صاحبها يُحرم من العلم. إذا احتقر العلماء حُرم من علمهم، هذه قاعدة، وهي أنك إذا تنقصت العلماء وانتقدتهم ولم تحترمهم فإنك تُحرم من علمهم.

صَوْنُ الجَوَارِحِ(١)

(١) من أعظم الآداب الشرعية صون الجوارح، ومعنى صون الجوارح معناه: حفظ الأعضاء لأن الجوارح هي الأعضاء سميت جوارح؛ لأنها تجترح أي تكتسب والاجتراح الاكتساب، فهي جوارح بمعنى كواسب تكسب لصاحبها خيراً أو شراً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، جرحتم: يعني كسبتم من الأعمال، ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي اكتسبوها ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الجاثية:٢١]، فالجوارح هي الأعضاء سميت بذلك لأنها تجترح لصاحبها أي تكتسب لصاحبها، ومنه الجوارح من الطيور ومن السباع، ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ [المائدة:٤]، يعني الكواسب من الطير أو من السباع التي تمسك الصيد.

فصون الجوارح: أي حفظها، أمر مهم جداً، أن يحفظ الإنسان أعضاءه من اكتساب الآثام والسيئات فإذا حفظ جوارحه

ألا كل من رام السلامة فليصن جوارحه عما نهى الله يهتد[1]

فقد حفظ قلبه؛ لأن القلب هو ملك الجوارح؛ فإذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، كما ورد في الحديث[1] فالقلب ملك الجوارح، وما تكتسبه الجوارح يؤثر في القلب، حتى ربما إن القلب يعمي أو يموت بسبب ما يأتي عليه من اكتساب الجوارح والأعضاء فلذلك قال: «صون الجوارح»أي حفظها، فيجب على الإنسان أن يحفظ لسانه، ويحفظ بصره، ويحفظ سمعه، ويحفظ يده ورجله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

(١) «ألا»حرف تنبيه، كما في قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [يونس:٦٢]، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة:١٢].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢). ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).

«من رام السلامة» أي من قصد، السلامة: وهي العافية، فمن قصد العافية في الدنيا والآخرة «فليصن» أي يحفظ من الصيانة، أو من الصون وهو الحفظ «جوارحه» أي أعضاءه وحواسه، فإن كنت تريد العافية في الدنيا والآخرة فاحفظ جوارحك، وإذا أهملت جوارحك فإنها تهلكك.

«عما نهى الله» يصونها عما نهى الله عنه، الله جل وعلا نهى عن المعاصي وعن الفواحش وعن كل ما يضر الإنسان من الأعمال والأقوال والمكاسب، قال تعالى: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠]، فكل ما يضر الإنسان في دينه ودنياه فقد نهى الله عنه، والنهي: معناه طلب الكف عن الشيء، والنهي الأصل فيه أنه للتحريم، فما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله ﷺ فإنه حرام، إلا إذا دل الدليل على أنه للكراهة، فإذا دل الدليل على أن النهي للكراهة، كراهة التنزيه يعني ترك الشيء من باب الأولى والاحتياط.

يكب الفتى في النار حصد لسانه　　فحافظ على ضبط اللسان وقيد[1]

---

(١) لما بين الناظم رحمه الله أن سعادة الإنسان بحفظ جوارحه على سبيل العموم، بدأ بالتفصيل فبدأ بأخطر الجوارح وهو: اللسان؛ لأنه يصدر عنه كلام كثير، فقد يكون فيه هلاك الإنسان، وقد قال النبي ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم»[1] شبه الكلام المحرم بالزرع يزرعه الإنسان، ثم يحصده يوم القيامة، فأنت تحصد ما زرعته بلسانك في هذه الدنيا، وفي الحديث أن رجلاً قال: «والله لا يغفر الله لفلان»، قال الله سبحانه وتعالى: «من ذا الذي يتألى عليّ» أي من ذا الذي يحلف عليَّ أن لا أغفر لفلان «إني قد غفرت له وأحبطت عملك»[2]، كلمة واحدة أحبطت عمله؛ لأنه

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، حديث رقم (٢٦٢١).

تجرأ على الله عز وجل وأساء الأدب مع الله، وحلف على الله أن لا يغفر لفلان، وهذا سوء أدب مع الله عز وجل، وقنوط من رحمة الله عز وجل، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «قال كلمة أفسدت دنياه وآخرته»[1] وفي الحديث الآخر «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[2]، «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه»[3] والكلم الطيب هو الذي يصعد إلى الله، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]، إذا صحبه عمل صالح، مثل قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم:٢٤-٥٢]، هذه كلمة لا إله إلا

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث رقم (٤٩٠١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب حفظ اللسان... حديث رقم (٦٤٧٨)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار حديث رقم (٢٩٨٨).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، حديث رقم (٢٣١٩).

الله، شبهها الله بالشجرة الطيبة وهي النخلة، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أصلها: يعني جذعها ثابت في الأرض، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني في العلو ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ النخلة كل سنة تأتي بثمر، كذلك الكلمة الطيبة لا إله إلا الله تثمر لصاحبها أجراً عظيماً، ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ [إبراهيم:٢٦]، فالكلام خطره عظيم ونفعه عظيم، إن كان الكلام طيباً فنفعه عظيم، وإن كان كلاماً سيئاً فخطره عظيم، واللسان له آفات كثيرة أعظمها وأخطرها الشرك بالله عز وجل بأن يتكلم الإنسان بالشرك كأن يدعو غير الله، أو ينذر لغير الله، أو يستغيث بغير الله.

وكذلك من أخطر الكلام القول على الله بلا علم، أن يقول: إن الله أحل كذا أو حرم كذا بدون دليل ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف:٣٣]، فالتحليل والتحريم حق لله، ولا يجوز لأحد أن يقول: هذا حلال وهذا

حرام إلا بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ، ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

ومن مخاطر الكلام أيضاً الغيبة، وهي الكلام في أعراض الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [الحجرات:١٢]، قال النبي ﷺ: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره»(١).

ومن أخطار آفات اللسان النميمة، وهي الوشاية بين الناس بأن يسعى بين الناس بالوشاية بأن ينقل كلام بعضهم في بعض، من أجل أن يفسد المودة بينهم، هذا هو النمام، وهذا أشد خطراً من الساحر، وقالوا: النمام يُفسد في ساعة ما يفسده الساحر في سنة؛ لأن النمام يُفسد بين الناس، يورث البغضاء بين الناس والحقد، وربما يحملهم على التهاجر والتقاطع، وربما يحملهم على الاقتتال، ويحرض بعضهم على بعض حتى يحملوا السلاح فيما بينهم، النميمة خطرها عظيم، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، حديث رقم (٢٥٨٩).

يدخل الجنة نمام»[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ ﴾ [القلم:١٠-١١] مَشَّاء بنميم: يعني بالنميمة، واخبر النبي ﷺ أن النمام يُعذب في قبره بالنميمة[2].

ومن أخطار اللسان السب والشتم والكلام الباطل، كأن يقول في أحد: يا خبيث، يا كذا، يا كذا، يا كاذب، يا فاسق، وقد أخبر ﷺ أنه إذا قال هذه الكلمات في حق أحد، فإن كان الذي قيلت فيه يستحقها وإلا رجعت على قائلها[3].

كذلك اللعن، بأن يلعن الناس، أو يلعن الدواب، أو يلعن البقاع، أو يعود نفسه اللعن، ليس المسلم بالطعان ولا باللعان، ولعن المسلم كقتله كما صح في الحديث، لأن اللعن معناه الدعاء عليه بالطرد من رحمة الله عز وجل، قال ﷺ: «لعن المسلم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، حديث رقم (١٠٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، حديث رقم (٦٠٥٥)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول... حديث رقم (٢٩٢).

(٣) مثاله ما رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم (٦٠).

كقتله»[1] لعن المسلم خطير جداً عليه وعيد شديد، جعله مثل القتل في الإثم.

ومن آفات اللسان: شهادة الزور والأيمان الكاذبة.

ومن آفات اللسان: الكذب، أن الإنسان يُحدث ويكذب وهذا من علامات النفاق، فإن المنافق إذا حدث كذب، بعض الناس لا يتحاشى عن الكذب، وهو الإخبار عن خلاف الواقع، بأن يقول: فلان جاء، أو فلان فعل كذا، وهو كذاب لم يحصل شيء من هذا، فآفات اللسان كثيرة، ولذلك بدأ بها الناظم؛ لأن اللسان هو أخطر الجوارح، وقد قال النبي ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة»[2] يضمن ما بين لحييه: وهو اللسان، وما بين رجليه: وهو فرجه يحفظه من الفاحشة، يضمن له الرسول ﷺ الجنة، والكلام خطير جداً، رُبَّ كلمة واحدة تسببت في قتل المتكلم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث رقم (٦٠٤٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان... حديث رقم (٦٤٧٤).

قال الشاعر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تُذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ويقول الآخر:

أحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

فربما أنه يتكلم بكلمة تسبب قتله فيجني على نفسه، فاللسان خطير جداً، والنبي ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1] فإن رأيت الكلام فيه خير تكلم، وإلا فاصمت واحفظ لسانك، إما أن تقول خيراً فتغنم، أو تسكت عن شر فتسلم، فامسك لسانك، والنبي ﷺ لما ذكر أسباب النجاة وأسباب دخول الجنة أشار إلى لسانه ﷺ وقال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قال: بلى، يا رسول الله. قال: «أمسك عليك هذا»[2] أي اللسان، فقد يعمل الإنسان أعمالاً صالحة، ثم يحصدها بلسانه، فيكون كلامه يُحبط أعماله، الشرك يُحبط الأعمال، وظلم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان... حديث رقم (٦٤٧٥).

(٢) مضى تخريجه.

فضول الكلام ارفض فلا تك مكثرا كلاما بغير الذكر لله تسعد[1]

الناس إذا تكلم فيهم يأخذون أعماله الصالحة لهم، فيكون الغرماء له يوم القيامة، يأخذون من حسناته، وربما يذهبون بكل حسناته، ولا يبق له شيء، فآفة اللسان خطيرة جداً، فعلى الإنسان أن يحفظ لسانه.

«فحافظ على ضبط اللسان» حافظ على ضبط لسانك، ولا تتكلم إلا بما فيه خير، وما فيه مصلحة، واضبطه وقيده عما ليس فيه مصلحة، يقولون: إن اللسان مثل الكلب العقور، إذا لم تربطه وتوثقه فإنه يعقر الناس، ويجترئ على الناس، ولذلك قال: «فقيد» يعني قيد لسانك، يعني اربطه مثل ما يُربط الكلب العقور.

(١) من آفات اللسان: فضول الكلام وهي الكلام الزائد، فلا يصير الإنسان ثرثاراً، دائماً يتكلم بدون فائدة، هذه فضول الكلام، هذا خسارة عليه، ويتعب لسانه ويتعب المستمعين بالكلام الذي ليس تحته طائل، ويتحدث في المجالس، وفي كل مناسبة بدون فائدة، فيحفظ الإنسان لسانه عن الفضول أي الكلام الزائد الذي

فإن فضولاً للكلام قساوة   لقلب الفتى عنه الخشوع بمبعد[1]

ليس له حاجة.

قال الشاعر:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن   ثرثارة في كل ناد تخطب

(١) الواجب على الإنسان أنه يمسك لسانه عن فضول الكلام، ولا يتعب لسانه ويضيع وقته إلا بذكر الله، فالكلام الكثير بذكر الله طيب، إذا كان بالتسبيح بالتهليل بالتكبير، وتعليم العلم النافع، والدعوة إلى الله عز وجل، والموعظة، هذا يرفعه الله به درجات، ويغرس له غرساً في الجنة، فالإكثار من ذكر الله لا حد له، كل ما أمكنك أنك تكثر أكثر من ذكر الله عز وجل ، الله جل وعلا يقول: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١]، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال:٤٥]، ومن علامة الإيمان كثرة ذكر الله، ومن علامة النفاق قلة ذكر الله، قال الله في

المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢]، فقلة الذكر من علامات النفاق، وكثرة ذكر الله من علامات الإيمان، فإذا كنت تريد كثرة الكلام فليكن بذكر الله، بالتسبيح بالتهليل بالتكبير بالتحميد بتلاوة القرآن وهذا أفضل الذكر، بتعليم العلم النافع، والإصلاح بين الناس، بالموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجالات كثيرة لذكر الله عز وجل.

«قساوة لقلب الفتى» هذا أول مفاسد فضول الكلام أنه يقسي القلب، فإذا كثر كلام الإنسان بغير ذكر الله فإن هذا يُقسي قلبه؛ لأنه يغفله عن ذكر الله، وإذا غفل عن ذكر الله قسا قلبه، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، الذي لا يلين لذكر الله سبحانه وتعالى، ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد:١٦]، ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ

فتردى بقائلها إلى النار كلمة وإرسال طرف المرء أنكى فقيد[1]

فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة:٧٤]، فالقلب يقسو وهو لحمة لينة، ولكنه يقسو ويقسو حتى يكون أشد قسوة من الحجر، هذا بنص القرآن، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ بعد ما رأى بنو إسرائيل العبرة في إحياء القتيل، بعدما رأوا العبرة التي تلين القلوب، ما استفادوا من هذا ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾، أشد قسوة من الحجارة، ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٤].

«عنه الخشوع بمبعد» فإذا أردت أن يلين قلبك فاترك فضول الكلام، واشغل وقتك بذكر الله عز وجل فإن ذلك يُلين القلب.

(١) «فتردى بقائلها إلى النار كلمة»، كالرجل الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان، فأحبطت عمله، «والرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد مما بين

المشرق والمغرب»[1] وفي الحديث الآخر: «يكتب الله سخطه عليه إلى يوم يلقاه»[2] كلمة واحدة، فكيف بالكلام الكثير من سخط الله عز وجل.

«وإرسال طرف المرء أنكى فقيد» لما فرغ من ذكر آفات اللسان انتقل إلى آفات النظر، والنظر خلقه الله نعمة للإنسان يبصر به ما ينفعه في دنياه وآخرته، فهو من أكبر نعم الله عز وجل، فإذا استعمله فيما يسخط الله صار ضرراً عليه، وذلك بأن ينظر به إلى ما حرم الله النظر إليه، قال الله جل وعلا: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:٣٠]، فغض البصر سبب لحفظ الفرج، وإرسال البصر سبب لفساد الفرج، فإذا أردت أن تحفظ فرجك من الفاحشة، فغض بصرك، وإذا تركت لبصرك الحرية في النظر فيما حرم الله فإنه سيجرك إلى الفاحشة.

كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، حديث رقم (٢٣١٩).

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ساء خاطره لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

يعني وقوع الفواحش سببها النظر، ولو أن الإنسان غض بصره لسلم من الوقوع في الفاحشة، ولذلك بدأ الله به قال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣٠]، فغض البصر معناه أن الإنسان يكف بصره عما حرَّم الله، الله لم يأمر بغمض العينين؛ لأنك بحاجة إلى أن تفتح عينك في الطريق، والنظر فيما تحتاج إليه، لم يأمرك بتغميض العينين، ولا بعصب العينين، وإنما أمرك بغض البصر فقط، وغضه: يعني خفضه عن الفتنة فإذا كان أمامك فتنة فغض بصرك عنها، وانظر فيما تحتاج إليه، ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ "من" تبعيضية، ولم يقل يغمضوا أبصارهم، بل قال: يغضوا ولم يقل: يغمضوا؛ لأنك بحاجة إلى النظر، ولست ملوماً إذا نظرت في الطريق أو نظرت فيما ينفعك، أو نظرت في السلع التي تريد أن تشتريها أو نظرت فيما تعتبر به مما أمامك من الآيات والعبر، وإنما الممنوع شيء واحد

وطرف الفتى يا صاح رائد فرجه ومتعبه فاغضضه ما استطعت تهتد[1]

وهو النظر إلى الفتنة، فهذا هو الذي مُنعت منه ﴿ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ كالنظر إلى المرأة الأجنبية، والنظر إلى الأمرد وهو أشد فتنة من المرأة، النظر إلى الشاشات الماجنة التي تُعرض فيها الفواحش، تُعرض فيها أعمال الفسق والعري، تُعرض فيها الجرائم أمام عينك وأنت تنظر إليها ليلاً ونهاراً، النظر في الصور الماجنة التي في الصحف والمجلات والجرائد، كل هذا من أسباب الفتنة، والواجب غض بصرك عنه، غض بصرك عن كل ما يرجع إليك بالضرر ويجرك إلى الفساد، فالنظر هو مبدأ الحوادث.

(١) «وطرف الفتى» الطرف هو البصر، «رائد فرجه» الرائد: هو الذي يرسله الأعراب لغرض أن ينظر في المرعى، فالقبائل ترسل رجلاً منها يرتاد لها المراعي الخصبة، ويقولون: الرائد لا يكذب أهله، فالبصر كذلك هو رائد للفرج يرسله الفرج لأجل أن ينظر له في الفتنة، فهو رائد الفرج مثل رائد المرعى.

«يا صاح» أصله يا صاحي، خففه لأجل النظم، وهذا يسمونه بالترخيم، والترخيم: هو حذف آخر المنادى، تخفيفاً، مثل: يا مالك، يقول: يا مال، «ومتعبه» ومتعب للفرج أيضاً، البصر يتعب الفرج يعني يوقعه فيما يضره، وما يعذبه، كالزنا والعياذ بالله وهو من أكبر الفواحش ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ [الإسراء:٣٢]، والفاحشة: هي المعصية المتناهية في القبح، فالزنا معصية متناهية في القبح، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ طريقاً؛ لأن الزنا يُحدث آفات في المجتمع.

أولها ضياع الفروج والعياذ بالله، وذهاب الكرامة والعفة.

وثانياً: ضياع الأنساب؛ لأن الله جل وعلا جعل الزواج حفظاً للنسب والأولاد، فالزنا يُسمى بالسفاح؛ لأنه يذهب بلا فائدة، ويأتي منه أولاد ليس لهم آباء، يضيعون في المجتمع، فهو ضياع للأنساب، وإهدار للكرامة الإنسانية، وكما ترون ما يكون على اللقطاء من الإهانة في المجتمع، ونظرة الناس إليهم، وهم يتضايقون، وهم ليس لهم ذنب، فالذي جنى عليهم هو المجرم الزاني، ضيعهم والعياذ بالله، وربما يجرهم هذا إلى الانتحار،

لأنهم يتضايقون من نظرة المجتمع إليهم، هذا من مفاسد الزنا، وأما ولد النسب تجدونه كريماً مشرفاً في المجتمع، ومحترماً في المجتمع، الذي هو من نكاح صحيح له حرمته، وله مكانته، وله قيمته في المجتمع، فهذا من فوائد النكاح الشرعي، والسفاح فيه ضياع الأنساب وكثرة اللقطاء الذين ليس لهم أباء ولا قبيلة ولا أحد.

ومن مفاسد الزنا أنه يجلب الأمراض الخطيرة، وهذا شيء وقع الآن؛ مرض الإيدز وهو مرض فقد المناعة الآن تشكو منه الدول، والعياذ بالله، يصبح المصاب به لا هو حي ولا ميت، بل لو يموت كان أحسن له، يعزلونهم الآن عن المجتمع، ويصبحون في حسرة، بسبب أنهم أهدروا فروجهم والعياذ بالله في الزنا واللواط والفواحش فأصيبوا بهذا المرض، والمصيبة أنه لا يقتصر عليهم هذا المرض بل ينتقل إلى الأبرياء، بالعدوى، كما هو معروف عند الأطباء، فالعالم الآن يشكو من مرض الإيدز، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾ ولذلك جعل الله للحماية من الزنا أسباباً كثيرة وسد الطرق التي تفضي إلى الزنا:

أولاً: أمر بغض البصر؛ لأن البصر وسيلة من وسائل الزنا، فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:٣٠] فغض البصر سبب لحفظ الفرج، والله جل وعلا يقول: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾ [غافر:١٩]، ما هي خائنة الأعين؟ هي التي تسارق النظر إلى ما حرم الله، إذا كان عند الناس والناس ينظرون إليه غض بصره، فإذا رآهم غفلوا سارق النظر إلى الحرام، هذه خائنة الأعين، الله يعلمها سبحانه.

ثانياً: الحجاب، الحجاب سبب للوقاية من الفاحشة ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور:٣١]،

فمن أعظم أسباب حفظ الفرج الحجاب، ولذلك أمر الله به المؤمنات، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، فالحجاب هو من أعظم أسباب الوقاية من الزنا، وعدم الحجاب هو من أعظم الأسباب لوقوع الزنا.

ومن الأسباب الواقية: تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة التي ليست من محارمه، قال النبي ﷺ: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[١] فلا يخلو رجل بامرأة لا تحل له، لا في بيت، ولا في مكتب، ولا في سيارة، ولا في بر، ولا في أي مكان، لابد أن يكون معهم من تزول به الخلوة، أما إذا لم يكن في المكان إلا رجل وامرأة لا تحل له فالشيطان معهما، وماذا يفعل الشيطان بين اثنين انفرد بهما؟! سيوقعهما في الفاحشة.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، حديث رقم (١١٧١).

ومن الأسباب الواقية: تحريم سفر المرأة بدون محرم؛ لأنه سبب لوقوع الجريمة؛ لأنه يتسلط عليها الفساق، وإذا كان معها محرم فإنه يطردهم ويصونها عنهم، المحرم له هيبة، وله مكانة، فإذا سافرت بدون محرم تسلط عليها الفساق وطمعوا فيها، ولهذا قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها ذو محرم»[1] يصونها عن الفسقة، ولاسيما أنها أُبعدت عن بلدها وعن أهلها وعن قرابتها، فيطمع فيها الفساق أكثر، وهي ضعيفة، ضعيفة الجسم وضعيفة العقل وضعيفة الدين أيضاً، حتى ولو كانت متدينة فإنها سهلة على الفساق يطمعونها ويوقعونها، إما بالقوة وإما بالرغبة، فالمرأة ضعيفة مهما كانت، تنفعل مع المغريات، ولا تدافع عن نفسها.

وكذلك من أسباب الوقوع في الفاحشة أن المرأة تلين في القول مع الرجل، وتضحك معه، وتمازحه، فيطمع فيها ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب في كم يقصر الصلاة، حديث رقم (١٠٨٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم (١٣٣٨).

بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، فالمرأة إذا رخمت الكلام وزينت الكلام والنطق للرجل وضحكت معه ومازحته طمع فيها، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب:٣٢]، قولاً ليس فيه خضوع، وليس فيه لين، ولا فيه مغازلة، ولا فيه ضحك، قولاً بقدر الحاجة وليس فيه طمع.

وكذلك من أسباب الوقوع في الفاحشة: التبرج، وهو ظهور المرأة بزينتها في الشوارع وفي الأسواق تتزين، هذا هو التبرج، التبرج هو التزين، فلهذا نهيت المرأة عند الخروج أن تكون متزينة متعطرة؛ لأنه يُطمع فيها الفساق، يُطمعهم فيها إذا رأوها متزينة ومتعطرة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، هذا من أسباب الوقوع في الفاحشة.

تجدون أن الإسلام سد الطرق كلها التي تفضي إلى الفاحشة، مما يدل على خطورة هذه الفاحشة، وهي الزنا، وأعظم أسبابها، وأول أسبابها النظر، ولهذا بدأ الله به فقال﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ وقال ﷺ: «النظَر سهم مسموم من سهام

فمن مد طرفاً أو زنا يـزن أهلـه فعـف يعـفوا قاله خير مرشـد[1]

إبليس»[1] السهم: معناه الذي يرمى ويخرق الجلد ويخـرق اللحـم، وصفه بأنه مسموم، ووصفه بأنه من سهام إبليس، قـد تقـول: أنـا يقع نظري على امـرأة، بـدون قصـد، نقـول: النظـرة الأولى لـيس عليك فيها إثم، لأن الرسول ﷺ يقول: «إنما لـك الأولى، وليسـت لك الثانية»[2] فإذا وقـع بصـرك علـى امـرأة مـن غـير قصـد فـلا تؤاخذ، أما إذا تابعت النظـر، نظـرت إليهـا مـرة ثانيـة فهـذه هـي المحرمة، وهي الممنوعة؛ لأنها بقصد.

(١) أنت إذا نظرت إلى محارم الناس نظروا إلى محارمك عقوبـة لك، فإذا نظرت إلى محارم الناس فإن الناس ينظرون إلى محارمك؛

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٧٨٧٥) (٤/ ٣٤٩)، والطبراني في المعجـم الكبير، حديث رقم (١٠٣٦٢) (١٠/ ١٧٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب ما يؤمر بـه مـن غـض البصـر، حـديث رقـم (٢١٤٩)، والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، حـديث رقـم (٢٧٧٧).

لأنك انتهكت حرماتهم فينتهكون حرمتك، وأشد من ذلك والعياذ بالله إذا فعلت الفاحشة بنساء الناس فإنهم يفعلون الفاحشة بنسائك، عقوبة، «من زنا يزن أهله».

«فعف» من عف عف أهله، ومن زنا زنا أهله، النبي ﷺ كان جالساً في أصحابه، فجاءه شاب قوي وقال: «يا رسول الله أريد منك أن ترخص لي في الزنا» فغضب الصحابة وأرادوا أن يبطشوا بالرجل، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه» ثم دعاه وأجلسه إلى جنبه، فقال: «يا فلان أترضاه لأمك؟» قال: «لا، بأبي أنت وأمي» قال: «أترضاه لزوجتك؟» قال: «لا، بأبي أنت وأمي» قال: «أترضاه لأختك؟» قال: «لا، بأبي أنت وأمي»، قال: «فإن الناس لا يرضونه لأمهاتهم، وزوجاتهم، وبناتهم»[1] فقام الرجل تائباً وأثر فيه كلام رسول الله ﷺ، وصار الزنا أبغض إليه من كل شيء، فإذا كان الرجل لا يرضى الزنا لأهله فكيف يرضاه هو لنساء الناس؟، وإذا وقع في نساء الناس، وقعوا في أهله عقوبة له.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (٢١٧٠٨).

فمن عف تقوىً عن محارم غيره يصن أهله حقا وإن يزن يفسد[1]
فلو لم يكن فعل الزناء كبيرة ولم يخش من عقباه ذو اللب في غد
لكان جديرا أن يصون حريمه بهجر الزنا خوف القصاص كما ابتدي[2]

---

(١) إن عف عف أهله، وإن زنا يزن أهله؛ لأنهم إذا رأوه يزني اقتدوا به، ويصير قدوة سيئة، أما إذا كان تقياً عفيفاً فإنهم يقتدون به، ويهابونه.

(٢) من عقوبات الزنا ـ كما ذكرنا ـ :

أولاً: أنه يفسد الأعراض.

وثانيا: أنه يُفسد أهل الزاني، عقوبة له.

وثالثاً: أنه يهدر النسل ويضيع النسل.

ورابعاً: أنه يجلب الأمراض في المجتمع، وهذا شيء نشاهده الآن وهو معروف.

وخامساً: أن فيه عقوبة في الدنيا والآخرة، عقوبته في الدنيا إقامة الحد، وسقوط العدالة، وعقوبته في الآخرة لأن الله جل وعلا توعد الزناة بعذاب أليم، وجاء في الأحاديث أنهم يُعذبون عذاباً شديداً في النار، وأن أهل النار يتأذون من رائحة فروج

فصخ وصن الآراب كل له زنا ولكن زنا الفرج الكبيرة فاعدد[1]
فقد قرن الله الزنا بدعا الفتى مع الله ربا في العذاب مخلد[2]

الموسمات[1].

فإذا تأمل الإنسان هذه العقوبات كان جديراً به أن يصون نفسه عنه ليصون بذلك حريمه.

(١) والزنا يكون للبصر، البصر يزني وزناه النظر كما في الحديث، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه،[2] فأعظم الزنا زنا الفرج، وإلا فالأعضاء تزني أيضاً، ولكن أعظم الزنا زنا الفرج. «الآراب» يعني الأعضاء، جمع أرب، «كل له زنا» كل من الأعضاء له زنا كما جاء في الحديث، «ولكن زنا الفرج الكبيرة فاعدد» أي ولكن أعظم الزنا زنا الفرج.

(٢) وهذا في آخر سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم (١٩٠٧٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، حديث رقم (٦٢٤٣).

إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان:٦٨]، فقرن الزنا مع الشرك ومع قتل النفس، وتوعد على هذه الذنوب بالعذاب الأليم ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]، سأل ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله أي الذنب أعظم؟» قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: «ثم أي؟» قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال: «ثم أي؟» قال: «أن تزاني بحليلة جارك»[1] فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان:٦٨]، فقرن الله الزنا مع الشرك ومع قتل النفس، مما يدل على تناهي فحشه وعظيم خطره.

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً...»، حديث رقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، حديث رقم (٨٦).

وأدب وعزر آتيـاً لبهيمــته[1]   ومن راود الحسناء عن نفسها اعضد[2]

---

(١) كذلك مـن أنـواع الفاحشـة إتيـان البهيمـة، بـأن يفعـل الفاحشة بالبهيمة، وهذا حرام، ويجب تعزير من فعله، فيـؤدب بمـا يردعه، وقـد جـاء فيـه حـديث ولكنـه ضـعيف أنـه يُقتـل وتُقتـل البهيمة، ولكن الحديث ضعيف، ولكن الصحيح أنه يُعـزر تعزيـراً رادعاً، ولا يُقتل، ولا تُقتل البهيمة. هذا فيمن يأتي البهائم[1].

(٢) يقول اعضد وأيد القول بأن من اعتدى على فتاة يراودهـا عن نفسها فدافعت بقتله أنه ليس عليها ضمان، يقول هذا هو القـول الصحيح، لأنها قتلته دفـاعاً عن نفسها فليس عليهـا ضمـان. ومـن العلماء من يقول عليها ضمان؛ لأن هذا قتل نفـس، ولكنـه يقـول أعضد هذا القول[2].

---

(١) رواه أبـو داود في كتـاب الحـدود، بـاب فـيمن أتـى بهيمـة حـديث رقـم (٤٤٦٤)، والترمذي في كتاب الحدود، بـاب مـا جـاء فـيمن يقـع علـى البهيمـة، حـديث رقـم (١٤٥٥).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٢٠٣، تحفة الأحـوذي ٦/ ٣١١، الكـافي ٤/ ٢٤٤، كشـاف القنـاع ٦/ ١٥٤، إعانـة الطـالبين ٤/ ١٧، روضـة الطـالبين١٠/ ١٨٦، حاشـية الدسـوقي ٤/ ٣٥٧، مواهب الجليل٦/ ٣٢٣.

إذا قتلتــه بانتفــاء ضمانــه ... ومن يـر مـع زوج فتـى فيُجــرد
لقتلهما سيفا فيقتلهمــا معــا ... فليس عليه من قصاص ولا يد[1]
فإن كان هذا منه دعـوى فأنكـر ... الولي ليحلف والقصاص فأكد[2]

---

(١) حاصـل البيـتين أن مـن رأى مـع امرأتـه رجـلاً أجنبيـاً فليجرد سيفه، وليقتلهما جميعاً وليس عليه ضـمان، وهـذا كمـا في حديث سعد بـن عبـادة رضـي الله عنـه، لمـا سـأل الـنبي ﷺ عـن الرجل يجد مع امرأته رجلاً آخر، فسال الـنبي ﷺ ثـم قـال سـعد: «والله لو وجدته لأقتلنه بالسـيف غـير مصـفح» فقـال رسـول الله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد، الله أشد غيرة، وأنا أشد غـيرة مـن سعد»[1].

«فليس عليه من قصـاص ولا يـد» أي لا يـدفع الديـة لأنـه مدافع عن حرمته.

(٢) يقول إذا لم يُطالب ولي القتيل انتهى الأمر، ولا ضمان، وإذا طالب ولي القتيل وادعى عليه وليس عنده إثبـات، فيُطلـب

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأة رجلا فقتله، حديث رقم (٦٨٤٦).

ويحرم رأي المرد مع شهوة فقط   وقيل ومع خوف وللكره جود[1]

من المدعي اليمين على ما قال، أنه لم يجده مع زوجته، فإذا حلف يُقام القصاص[1].

(١) تقدم الكلام على وجوب غض البصر عمَّا حرم الله سبحانه وتعالى من النظر إلى النساء الأجنبيات لأن ذلك يجر إلى الفاحشة، وهذا بنص القرآن قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور:٣٠]، وقال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١]، وغض البصر صيانة للفرج من الوقوع في الفاحشة، وهذا يكون عن النساء بالإجماع، وكذلك عن المرد، وهم الصبيان؛ لأن فيهم فتنة؛ لأنه ربما تكون فتنتهم أشد من فتنة النساء؛ لأن هذا يجر إلى الفاحشة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤/ ١٦٩، فتح الباري ٩/ ٤٤٩، شرح النووي على مسلم ١٠/ ١٢١، التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٥٣، شرح الزرقاني ٤/ ١٧٦، المبدع ٩/ ١٥٦، المغني ٩/ ١٥٣.

فإياك والأحداث لا تقربنهم ولا ترسلن الطرف فيهم وقيد[(1)]

باللواط والعياذ بالله، فيغض البصر عن النساء، وعن المرد: جمع أمرد وهو الصبي، ثم النظر إليه إن كان مع شهوة فهو حرام، لأن ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام، وإن كان بدون شهوة فإنه قيل: إنه حرام، وقيل مكروه، والناظم يختار أنه مكروه يقول: «وللكره جود» يعني إذا لم يكن هناك شهوة فالنظر إليه مكروه، أما إذا كان مع شهوة فهو محرم[(1)].

(١) هذا تحذير وتأكيد آخر «إياك والأحداث» صغار السن، هذه كلمة تحذير، «لا تقربنهم» ابتعد عن الأمكنة التي يوجدون فيها، فإن كان ولابد أن تأتي إلى التجمع الذي هم فيه، فعليك بغض البصر، مثل معلم الصبيان ونحوه، هذا لابد أنه يجلس معهم، ولكن عليه بغض البصر.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٣، الإنصاف للمرداوي ٨/ ٢٨، المغني ٧/ ٨٠، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢١/ ٢٤٥، الفواكه الدواني ٢/ ٢٧٦ روضة الطالبين ٧/ ٢٥، الإقناع للشربيني ٢/ ٤٠٧، الفروع ٥/ ١١٢.

وإرسال طرف منك لا تحقرنه   ففي ضمنه سهم بنار يوقــد[1]

---

(١) إرسال النظر لا تحقرنه، لا تتهاون بالنظر إلى ما حرم الله، فإن النبي ﷺ أخبر بأنه سهم مسموم من سهام إبليس، سهم والسهم معروف أنه يقطع فكيف إذا كان مسموماً! فهذا أشد، فهذا مما يؤكد على المسلم أن يغض بصره؛ لأن هذا أحفظ لفرجه وأبعد له، ولأن النظر بشهوة، يورث الشهوة في القلب وينقل الصورة إلى المخيلة فلا يزال يتصور ما رأى حتى يفتنه الشيطان بمتابعته، فغض البصر فيه فوائد عظيمة، فيه طهارة للقلب، ولهذا قال: «ذلك أزكى لهم» غض البصر أزكى، ففيه طهارة للقلب، ومن غض بصره لله عز وجل، جعل الله في قلبه نوراً يستضيء به وهو نور الإيمان.

والصوفية قبحهم الله ينظرون إلى المرد، ويقولون: هذا من التفكر في خلق الله، ويحولونه إلى أنه عبادة، وهو محرم بنص القرآن، يُزين لهم الشيطان ذلك.